

الكتاب المقدس عطية الله لنا:

مبادئ علم التفسير

اكتشاف المعنى

الدرس
السادس



خدمات الألفية

الثالثة

تعليم كتابي. للعالم. مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريبٍ مسيحيٍّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائلٍ إعلاميةٍ متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنْتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحتنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٩٢ دولة. وتُنْتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

I المقدمة

II الإرشادات

أ. الكاتب

ب. الوثيقة

ت. القراء

ث. الترابط

III الخلاصات

أ. تعقيدات المقطع

ب. فرادة المفسر

ج. حاجات القراء

IV الخاتمة

الكتاب المقدس عطية الله لنا:

مبادئ علم التفسير

الدرس السادس

اكتشاف المعنى

المقدمة

لا يقدر الأطفال عادةً ما يفعله المعلمون من أجلهم. حيث يجتهد المعلمون ليقدموا لهم كل أنواع الاكتشافات الجديدة. لكن في كثيرٍ من الأحيان، يتدمرُ التلاميذُ الصغار ويشتكو بشكل مستمر. وبالطبع، ننظر اليوم كبالغين إلى مُعلمي طفولتنا ونذكر كم كان جيداً أننا لم نتعلم دروسنا بأنفسنا. ونشعر بالامتنان لما قاموا به من أجلنا. وحين نفكر في الأمر، نشعر بامتنانٍ أكثر على فرصٍ لا تُحصى، توفرت لنا خلال طفولتنا، لنتعلم أكثر وأكثر كل يومٍ في حياتنا. ومن عدة نواحٍ، يكون الأمر كذلك فيما يتعلّق بمعنى الكتاب المقدس. فلم يتركنا الله لنكتشف معنى الكتاب المقدس بأنفسنا. بل وقر لنا إرشاداتٍ لتعيننا. وعلاوة على ذلك، فإن أحد الأمور الرائعة حول الكتاب المقدس، هو أنه خلال حياتنا، يمكننا العودة إليه مرةً تلو الأخرى ونتعلمُ المزيد عن معناه.

هذا هو الدرس السادس في سلسلتنا الكتاب المقدس عطية الله لنا: مبادئ علم التفسير، وقد أعطيناه العنوان "اكتشاف المعنى". سنركز في هذا الدرس، على بعض الخطط في التفسير التي يمكن أن تساعدنا على اكتشاف المعنى الأساسي لنص كتابي.

هناك عوامل لا تُحصى تساهم في عملية اكتشاف معنى الكتاب المقدس. لكن من أجل غرضنا في هذا الدرس سأشير إلى اثنين منها فقط. أولاً، الإرشادات الهامة التي تساعدنا على اكتشاف معنى نص كتابي. وثانياً، قيمة وضع خلاصات لذلك المعنى. لنبدأ بالنظر إلى الإرشادات التي تدلنا على معنى نص كتابي.

الإرشادات

ذكرنا في درس سابق، أن معظم الإنجيليين اليوم يشيرون لمنهجيتهم التفسيرية العامة، كأسلوب التفسير اللغوي التاريخي. ويُعتبرُ هذا المصطلح حديثاً نسبياً، لكنه يمثلُ منهجاً يمكن تتبعه خلال تاريخ الكنيسة، لا سيما منذ عصر الإصلاح. في الواقع، يسعى أسلوبُ التفسير اللغوي التاريخي إلى اكتشاف معنى

الكتاب المقدس من حيث قواعد اللغة - ما هو مكتوب في صفحاته - ومن حيث قرينته التاريخية القديمة، لا سيما قرينة الكتاب والقراء. وتكون هذه العوامل اللغوية والتاريخية بمثابة إرشادات تساعدنا في اكتشاف معنى الأسفار المقدسة.

سنركز في هذا الدرس على ثلاثة إرشادات تساعدنا على اكتشاف معنى نص كتابي: كاتب النص، الوثيقة نفسها، والقراء الأولون الذين كتب النص إليهم.

عندما أوحى الروح القدس بأسفار الكتاب المقدس، استخدم مواهب وشخصيات الكتاب. من هنا معرفة شيء عن الكتاب يمكن أن يساعدنا على فهم كتاباتهم.

صاغ الروح القدس كل سفر في الكتاب المقدس كوحدة متكاملة، مقدّمًا ما يكفي من مادة مكتوبة لكل مقطع ليفهم في قرينته اللغوية والأدبية. من هنا يمكن للوثيقة نفسها أن تقود تفسيرنا بما أنها تتضمن القرينة الأدبية التي يستند إليها تفسير كل المقاطع في الوثيقة.

وقد ضمن الروح القدس أن تكون الكتب التي أوحى بها مفهومة عند القراء الأولين ووثيقة الصلة بحياتهم. من هنا، يمكننا أن نتعلم شيئًا عن معنى النصوص الكتابية من خلال فحص شخصيات القراء الأولين وأسلوب حياتهم.

تخيل أن شخصًا في مطعم وجد ورقة مرمية على الأرض. وقد كتب فيها كلمة واحدة "مساعدة". يُري الورقة إلى أصدقائه لعل أحدهم يمكنه أن يتبين معناها. لكن ليس لدينا الكثير من المعطيات. "أتمنى لو كان هناك المزيد من الكلمات" قال أحدهم. "ليتنا نعرف من كتبها"، أضاف صديق آخر. "لو أمكننا معرفة إلى من كتبت هذه الورقة" علق آخر. في الحقيقة، هذه المذكرة قد تعني أمورًا كثيرة. يمكن أن تكون جزءًا من لعبة يلعبها الأولاد على طاولة أخرى. وقد تكون طلبًا للمساعدة بقائمة الطعام. وقد تكون صرخة استغاثة من شخص في ورطة. ودون المزيد من الإرشادات لا يمكن لمن وجدها وأصدقائه أن يفهموا ما تعنيه تلك العبارة. وأمر مشابه ينطبق على الكتاب المقدس. فنحن عندما لا نعرف سوى القليل، أو لا شيء عن الكتاب والقراء، أو عندما نقرأ مقاطع دون أن نعرف القرينة الأوسع، يبقى المعنى الذي قصده الكتاب المقدس غامضًا بالنسبة إلينا. لكن الأخبار السارة هي أن كل معرفة نكتسبها عن الكاتب، أو الوثيقة أو القراء، يمكن أن تساعدنا على فهم معنى النص الكتابي.

إن كنا لا نأخذ بعين الاعتبار السياق اللغوي والتاريخي للمقاطع الكتابية التي نحن بصدد تفسيرها، فسنقرأها حتمًا على ضوء افتراضاتنا المسبقة. على سبيل المثال، قد يبدو الأمر تافهًا للبعض، لكن حين تحدّث يسوع عن الولادة الجديدة، فهم أناس قوله هذا على أنه

تتمص - أي ولادة الإنسان من جديد، بالمعنى الحرفي للولادة، ليس بمعنى أنه يعود إلى رحم أمه، بل بمعنى أنه يتكوّن من جديد في رحم امرأة أخرى؛ وهذا سوء الفهم الذي وقع فيه نيقوديموس. لذا نحن بحاجة إلى أن نفهم المعنى الحقيقي على ضوء السياق اللغوي والأدبي للنص. ويمكن لبعض الخلفيات التاريخية، في هذه الحال، أن تساعدنا على تفسير النص على نحو صحيح. فحين يتحدّث اليهود مثلاً عن الولادة ثانية، فهم يفكرون بصورة خاصّة في اهتداء وثني إلى اليهوديّة. إلا أنّ الحديث عن ولادة ثانية يبدو غير منطقي، إذا ما وجّه إلى معلّم في إسرائيل. فكيف يمكن أن يتساوى المعلّم اليهودي مع من ليس فرداً من شعب الله؟ إلا أنّ ذلك يُفهم على ضوء السياق الأوسع في حديث يسوع لاحقاً في يوحنا ٨ عن كون البشر بالطبيعة أولاد إبليس إلى حين يصبحوا أولاد الله، لذلك ينبغي على المرء أن يولد ثانية من الروح. وهناك العديد من الأمثلة في الكتاب المقدس، حيث لكل نص كتابي خلفية حضارية وخلفية لغوية. فالكتاب المقدس هو كتاب كلّ العصور، لكن يبقى أن نتعرّف إلى الظروف التي كُتبت فيها وإلى خلفية قرائه، حتّى نتمكن من التعرّف إلى المبادئ، المبادئ الشاملة والأبدية، فنطبّقها على أوضاع مختلفة.

—الدكتور كريج كينر

لا شك في أن معرفة أوسع بالسياق اللغوي والتاريخي تساعد القارئ على الاستفادة أكثر من قراءته للكتاب المقدس. طبعاً، بإمكانك أن تقرأ الكتاب المقدس رغم مستواك العلمي المتواضع، ودون الاستعانة بمراجع خارج النص الكتابي - ولطالما كانت قناعة المسيحيين على مدى الأجيال الماضية أنّه بإمكانهم فهم ما ورد في النص الكتابي دون الاستعانة بمواد ومراجع صارت متوفّرة الآن في العصر الحديث. لكن رغم ذلك، فإنّ فهم طريقة صياغة الفقرات والجمل والإطلاع على الخلفية التي تحيط بكتابة هذه المقاطع يجعل النص الكتابي أكثر وضوحاً للقارئ.

—الدكتور سايمن فايبرت

إن بحثنا في الإرشادات التي تعيننا على اكتشاف معنى نص كتابي تنقسم إلى أربعة أقسام. وهذه هي أقسام الإرشادات: ما يتعلق بالكاتب، ثم الوثيقة، وبعدها القراء. ونختم بتربطها بعضها ببعض. لننظر أولاً فيما يتعلق بالكاتب.

الكاتب

كلما ندرسُ الكاتبَ البشري لمقطعٍ من الكتاب المقدس، يجبُ أن نستعدَّ للإجابة عن كل أنواع الأسئلة. أولاً، نحتاج أن نعرف هوية الكاتب. من هو؟ أحياناً يُعرّف الكتاب المقدس بالاسم عن هوية كاتب أسفارٍ متنوعة. على سبيل المثال، يُنسبُ بشكلٍ مباشرٍ سفري عاموس وإشعيا في العهد القديم، إلى النبيين عاموس وإشعيا. وتشير رسائل بطرس وبولس في العهد الجديد إلى هذين الرسولين ككاتب تلك الرسائل. لكن في الوقت نفسه، هناك أسفارٌ عديدة في العهدين القديم والجديد مجهولة الكاتب مثل القضاة والملوك، وكذلك أعمال الرسل والعبرانيين. وفي هذه الحالات، غالباً ما نكتفي ببعض الملاحظات العامة حول الكاتب. وأياً كان الأمر، فبدرجةٍ أو بأخرى، دائماً يمكننا البحث التاريخي العام والأسفار المقدسة نفسها، من خلق صورةٍ لكل كاتب للكتاب المقدس. ويمكننا دائماً أن نكتسب بعض المعرفة من طرح أسئلة كالتالية: ما الدور الذي لعبه الكاتب وسط شعب الله؟ ماذا كانت اهتماماته الخاصة؟ ما هو نوع المفاهيم، والسلوكيات، والمشاعر التي ركّز عليها في سفره؟ وترشدنا معرفتنا بكاتب الأسفار المقدسة نحو هدف اكتشاف معنى الكتاب المقدس.

لننظر إلى تأثير معرفتنا بالكاتب على جهودنا التفسيرية بالتركيز على كاتب إنجيل يوحنا ٣: ١٦. في هذا العدد المؤلف نقرأ:

لأنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ (يوحنا ٣: ١٦).

كتب إنجيل يوحنا، الرسول يوحنا، وهو أخو يعقوب بن زبدي. وقد كان واحداً من المرافقين المقربين جداً من يسوع الذين وضع ثقته فيهم، وعمود إيمان في الجماعة المسيحية الباكورة. وإلى جانب إنجيل يوحنا، كتب يوحنا أربعة كتب أخرى في العهد الجديد: ١ يوحنا، ٢ يوحنا، ٣ يوحنا والرؤيا. ومن خلال كتبه، ومن خلال الأشياء التي قالها الكتاب الآخرون عن يوحنا، مثل متى، ومرقس ولوقا، يمكننا أن نكون فهمًا جيداً عن معتقدات يوحنا والطريقة التي نقل فيها تلك المعتقدات إلى قرائه.

على سبيل المثال، في يوحنا ٢٠: ٣١، أعلن يوحنا قصده من خلال كتابة الإنجيل. فقال لقرائه:

وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونُوا لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً

بِاسْمِهِ (يُوحَنَّا ٢٠ : ٣١).

يوضح هذا المقطع أن قصد يوحنا الشامل كان دعوة قرائه ليؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله ولكي تكون لهم حياة إن هم آمنوا باسمه.

عندما تكون عندنا بعض المعرفة بالكاتب وقصده، لا يصعب علينا أن نرى هذا الهدف المزدوج في

يوحنا ٣ : ١٦ .

معظم المترجمين المعاصرين يعتبرون عن حق أن يوحنا ٣ : ١٦ هو بداية تعليقات يوحنا على كلمات يسوع التي تنتهي في يوحنا ٣ : ١٥ . فالنصف الأول من يوحنا ٣ : ١٦ يعلن "لأنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَّلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ". وهذا الجزء من العدد يتناسب مع النصف الأول من يوحنا ٢٠ : ٣١ : "وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ. وَالجزء الثاني من يوحنا ٣ : ١٦ يعلن: "لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ". وهذا الجزء من العدد يتناسب مع الجزء الثاني من يوحنا ٢٠ : ٣١ : "وَلِكَيْ تَكُونُوا لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ".

ومن خلال ملاحظة هذا التوازي نتحقق من أمر أقرّ به المفسرون عبر الأجيال. فقد قصد يوحنا أن يكون هذا المقطع أكثر من مجرد تصريح واقعي تاريخي. فالحقيقة التاريخية أن الله أعطى ابنه الوحيد مهمة ليوحنا، لكن قصده الحقيقي من خلال الإشارة إليها هنا هو دعوة قرائه إلى الإيمان الخلاصي في المسيح لكي تكون لهم حياة أبدية. وكما نرى، فإن فهم قصد يوحنا ومعتقداته، تساعدنا على تفسير إنجيله بصورة صحيحة.

بعد أن تناولنا فوائد الاعتماد على الكاتب لإرشادنا إلى فهم الكتاب المقدس، لننتقل إلى الوثيقة

الكتابية.

الوثيقة

إن استخدامنا لكلمة وثيقة يتضمن كل خصائص النص الذي ندرسه، بما في ذلك مفرداته، وقواعد اللغة، والاستعارات، وتركيبية الجملة، والبنية الأساسية، وخصائص جته، والقرينة الأدبية القريبة، الخ... وبغرض تفسير الكتاب المقدس بطريقة مسؤولة، يجب أن ننصبه جيداً إلى الكلمات والعبارات الفعلية التي يستخدمها كاتب الوحي.

إن أحد أهم الأمور التي يجب تذكرها عندما ندرس سفرًا كتابياً، هو أنه ينقل معناه في وحدات من

أحجام مختلفة. وتختلف هذه الوحدات المتنوعة للمعنى باختلاف قالبها الأدبي. لكن بصورة عامة، يصلنا المعنى من خلال التصريفات النحوية، وهي سمات إعرابية صغيرة تشير إلى أمور مثل المفرد والجمع وأزمنة الأفعال. كما يصل المعنى أيضاً من خلال الكلمات، ثم العبارات، وأجزاء الجمل، والجمل، والفقرات النثرية، والمقاطع الشعرية. وتكون الأقسام الأكبر مثل القصص الكاملة، والخطابات أو الشرائع، أو حتى الأسفار الكاملة، بمثابة وحدات من المعنى. واللافت للنظر، هو أن معنى الأجزاء الأصغر يُصبح أوضح في ضوء الأجزاء الأكبر. كذلك، يُصبح معنى الأجزاء الأكبر أوضح في ضوء الأجزاء الأصغر. وهكذا، عندما نود معرفة الطريقة التي يُرشدنا بها سفرٌ كتابي إلى معناه، يجب أن نستعد لدراسته على كل هذه المستويات.

ولكي نوضح ما نعنيه، لننظر إلى ناحية في يوحنا ٣: ١٦ التي غالباً ما يساء فهمها.

كما سبق ورأينا، يبدأ يوحنا ٣: ١٦ "لأنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ". وغالباً ما يفهم المسيحيون الإنجيليون هذه العبارة لتعني شيئاً مماثلاً: "لأن الله أحب العالم كثيراً"، أو "لأن الله أحب العالم حباً عظيماً"، أو "لأن الله أحب العالم للغاية". وهذا الفهم لافتتاحية يوحنا ٣: ١٦، قديم وشائع بحيث لا يخطر في بال معظمنا أن يسأل هل حقاً عنى يوحنا بكلمة "هكذا"، "كثيراً" أو "عظيماً" أو "لله غاية". لكن عندما ننظر إلى يوحنا ٣: ١٦ في قرينته الأوسع، يتضح لنا سريعاً أن هذا ليس معنى "هكذا".

في البداية، إن كلمة "هكذا" هي ترجمة للكلمة اليونانية هوتوس (*houtos*). وصيغة الحال هذه تعني أحياناً "عظيماً" أو "كثيراً" لكنها مستخدمة في الغالب لتعني "هكذا"، "بهذه الطريقة"، و"على هذا المنوال". ويمكننا أن ندرك أنها استخدمت بهذا المعنى الأخير في يوحنا ٣: ١٦، وذلك عن طريق مقارنة استخدام يوحنا لكلمة "هكذا" مع الأعداد التي وردت قبلها. نقرأ في يوحنا ٣: ١٤-١٥:

وَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ. لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ (يوحنا ٣: ١٤-١٥).

قارن يسوع في هذين العددين بين الزمن الذي "رفع فيه موسى الحية في البرية" والزمن الذي ينبغي أن "يرفع فيه ابن الإنسان، يسوع".

أشار يسوع في العدد ١٥، إلى كتاب العدد ٢١: ٤-٩ حيث قاصص الله إسرائيل في البرية عن طريق إرساله عليهم الحيات السامة. فصرخ الشعب إلى الله طالبين النجاة. وتلبية لأمر الله، صنع موسى حية نحاسية، ووضعها على راية، ورفع الحية في الجو، وكل من نظر إلى الحية النحاسية شُفي. أوضح يسوع من خلال هذه المقارنة، أنه عندما يُرفع، كل الذين سينظرون إليه في كل مكان سينجون من دينونة الله.

من المهم أن نلاحظ هنا أن يسوع قال "وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ ... هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ". في هذه المقارنة، الكلمة اليونانية المترجمة "هكذا" هي الكلمة ذاتها التي وردت في بداية العدد ١٦، الكلمة هوتوس (*houtōs*). فقد قال يسوع: "وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ، "هَكَذَا" أو "بالطريقة ذاتها" يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ". وقد استخدم يوحنا هذا التشبيه عندما استخدم الكلمة ذاتها في العدد ١٦.

في الواقع، كرّر يوحنا الكلمة ذاتها هوتوس (*houtōs*) في تشبيه ثان مع رفع موسى الحية. لكن المقارنة هنا في العدد ١٦ هي بين ما فعله موسى وما فعله الله عندما بذل ابنه الوحيد. ويمكننا أن نصيغ الجملة "وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ... بالطريقة ذاتها أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ". يوضح لنا هذا النموذج بطريقة بسيطة واحدة كيف يساعدنا درس نص كتابي على فهم معناه.

بعد أن فهمنا كيف يلعب كل من الكاتب والوثيقة، دور الإرشاد المساعد في عملية التفسير، أصبحنا مستعدين أن ننظر إلى القراء كإرشاد ثالث.

القراء

من المهم أن نفهم الإطار التاريخي الذي يحيط بكتابة أسفار الكتاب المقدس، الله اختار أن يتكلم إلى شعبه في زمن معين، ملتفتاً إلى اهتماماتهم وهمومهم، وإلى مخاوفهم وآمالهم، بعلاقتهم بالعالم الذي من حولهم. وقد تكلم الله إليهم بهذه الطريقة لكي يعلن لهم ذاته، وحصل أننا صرنا جزءاً من هذه الرسالة، فقبلناها كما لو كانت في الأصل لنا، على الرغم من أنها كتبت إليهم في ظروفهم التاريخية المحددة.

—الدكتور سكت رد

عندما ندرس مسألة القراء الأصليين لمقطع من الكتاب المقدس، يجب أن نستعد للإجابة عن كل أنواع الأسئلة. أولاً، نحتاج أن نعرف هوية القراء. من هم؟ أحياناً نخبرنا الأسفار الكتابية عن هوية القراء بوضوح. على سبيل المثال، تُعرّف الرسالة إلى رومية في العهد الجديد عن قرائها كمسيحيين يعيشون في روما. كما تُعرّف رسالة غلاطية عن قرائها بالكنائس في غلاطية. لكن في الوقت نفسه، لا تُعرّف معظم الأسفار في العهد القديم والجديد عن قرائها بشكل مباشر. وفي هذه الحالات، يجب أن نبحث عن أدلة غير مباشرة. في جميع الأحوال، وبدرجة ما، دائماً يمكننا البحث التاريخي والأسفار المقدسة نفسها، من خلق

صورة عامة عن القراء الأصليين. فيجب أن نبذل كل ما بوسعنا للإجابة عن أسئلة كالتالية: أين عاش القراء؟ ماذا كانت ظروفهم التاريخية؟ ما هي التحديات التي واجهتهم؟ ماذا كانت حاجاتهم الفكرية، والسلوكية، والعاطفية؟ فكل ما نعرفه عن القراء الأصليين يرشدنا في اكتشاف معنى الأسفار المقدسة.

على الرغم من أن القراء الأولين لم يساهموا مباشرة في كتابة الأسفار المقدسة، فقد دون كتاب الكتاب المقدس أسفارهم وفي ذهنهم قراء أولون وقراء ثانويون. فهم كتبوا لبعض الناس بصورة مباشرة، لكنهم كتبوا أيضًا لآخرين سيقروا كتبهم بصورة غير مباشرة. والسبب وراء ذلك هو أنه عندما كُتبت الأسفار المقدسة في البداية، كانت معرفة القراءة والكتابة مقتصرة على قلة من الناس. من هنا، لم يتوقع كتاب الكتاب المقدس أن يقرأ الكثير من الناس أسفارهم. إلا أننا كلما عرفنا المزيد عن القراء الأولين والثانويين، كلما تمكنا من الاقتراب أكثر من المعنى الأساسي للمقاطع الكتابية.

لنعد مرة أخرى إلى إنجيل يوحنا لنوضح أهمية إبقاء المعنى الأساسي لسفر كتابي في ذهننا. ففي حالة إنجيل يوحنا، نحتاج إلى أن نعتمد على الإرشادات غير المباشرة حول قراء يوحنا الأولين والثانويين. السبب الأول وراء ذلك، أنه غالبًا ما شعر يوحنا بالحاجة إلى تفسير العادات في فلسطين. استمع إلى ما كتبه في يوحنا ٤: ٩ في كلامه عن حديث يسوع مع المرأة السامرية:

فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ: "كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِتَشْرَبَ، وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟" لِأَنَّ الْيَهُودَ لَا يُعَامِلُونَ السَّامِرِيِّينَ (يوحنا ٤: ٩).

يبدو من تعليق يوحنا أن بعض قرائه على الأقل لا يعرفون عن القطيعة بين اليهود والسامريين. من هنا يصعب التصديق أن يوحنا كتب بالدرجة الأولى إلى أشخاص يعيشون في فلسطين، حيث كانت هذه العادات معروفة عند الجميع هناك. في الواقع، بعض من قراء يوحنا كانوا على الأرجح من غير اليهود، لأن يوحنا شعر مرتين - في ١: ٤١، وفي ٤: ٢٥ - بالحاجة إلى أن يشرح أن الكلمة اليونانية خريستوس هي مرادفة للكلمة العبرية "مسيح". وكمثل واحد فقط، استمع إلى تعليق يوحنا ٩: ٢٢ من إنجيله:

لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ تَعَاهَدُوا أَنَّهُ إِنْ اعْتَرَفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ يُخْرَجُ مِنَ الْمَجْمَعِ (يوحنا ٩: ٢٢).

في هذا المقطع، "يُخرج من المجمع"، تعني أن يُحرم من الشركة، أن يُستبعد من حياة الجماعة

اليهودية.

من هنا، يمكننا أن نفترض أن قرّاء يوحنا ضموا ليس فقط أممًا وأشخاصًا من خارج فلسطين. بل من الواضح أيضًا أن قرّاءه كانوا يواجهون تحديًا حاسمًا. وأحد المفاتيح إلى هذا التحدي يظهر من حقيقة استخدام يوحنا للمصطلح "يهود" كإشارة إلى أولئك الذين قاوموا يسوع وأتباعه. وهذا الموضوع بارز جدًا بحيث قاد بعض المفسرين إلى اعتبار إنجيل يوحنا مناهضًا للسامية. بالطبع، كان يسوع ويوحنا وبقية رسل يسوع يهودًا، وبالتالي الإشارة هنا ليست عرقية. بالأحرى، عنى يوحنا هنا اليهود الذين لم يؤمنوا بيسوع واضطهدوا الكنيسة. وتكرار إشارات يوحنا إلى اليهود غير المؤمنين كخصوم ليسوع وأتباعه تشير بقوة إلى أن قرّاء يوحنا كانوا هم أيضًا يواجهون اضطهادًا بسبب إيمانهم. وغالبًا ما يعالج إنجيل يوحنا الأسباب التي من أجلها رفض اليهود غير المؤمنين، يسوع والمهتدين إلى المسيحية. لكن من أجل أغراضنا سنشير إلى اثنين فقط. من جهة، اتهم اليهود غير المؤمنين يسوع بالتجديف لأنه ادعى أنه ابن الله. استمع إلى الطريقة التي ويخّ فيها يسوع خصومه اليهود في يوحنا ١٠ : ٣٦:

أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لِأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللَّهِ؟ (يوحنا ١٠ : ٣٦).

يتضح من هذا العدد، أن ادعاء يسوع أنه ابن الله هو أحد الأسباب الرئيسية لرفض اليهود له. من جهة ثانية، فإن خصوم يسوع كانوا أيضًا يكرهونه لأنه جاء برجاء الخلاص للأمم كما فعل لليهود. وقد أوضح يوحنا لقرّائه أن يسوع ليس مجرد مخلص لليهود فقط، بل أيضًا لكل جماعة في العالم. على سبيل المثال، في يوحنا ٤ : ٤٢، نقرأ ردّ السامريين بعد سماعهم شهادة المرأة السامرية التي التقاها يسوع على البئر:

نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ (يوحنا ٤ : ٤٢).

فمن وجهة نظر يوحنا، يسوع ليس مخلص لليهود فقط، بل "مخلص العالم" أيضًا. وأهمية هذين الموضوعين بالنسبة لقرّاء يوحنا الأولين يساعدنا على شرح مقاطع مثل يوحنا ٣ : ١٦ حيث يشدّد يوحنا أن يسوع هو "ابن الله الوحيد" وأن الآب أرسله لأنه "هكذا أحبّ الله العالم".

كتبت كل أسفار الكتاب المقدس إلى قرّاء أوليين، وليس لنا نحن أبناء القرن الحادي

والعشرين. ومن الملفت للنظر والمفيد أيضاً، أن ندرك أنّ غالبية كتب العهد الجديد هي رسائل، وإذ نقوم بقراءة تلك الرسائل - وأعتقد أنّ هذا ينطبق على كل كتب الكتاب المقدس، لكن بالأخص على الرسائل - نكون كمن يقرأ رسائل شخص آخر. إنّ تلك الرسائل تعيننا كوننا ننتمي إلى الكنيسة، لكنّها مكتوبة في الأصل إلى قراء أوليين، وبالنسبة إلى العهد الجديد، مكتوبة إلى القراء المسيحيين الأولين في القرن الأول. لذا إن بذلنا مجهوداً لفهم حالة القراء الأولين ومخاوفهم، وحالة الكاتب الأول الذي توجه إلى هؤلاء القراء، نكون في وضع أفضل لفهم الكتاب الذي نقرأ. ويجب أن نتوصل إلى ذلك الفهم قبل أن تنتقل إلى تطبيق ما جاء فيه على الأوضاع التي نمرّ بها في زمننا هذا.

—الدكتور روبرت ماكيون

الآن بعد تناولنا الطرق التي من خلالها يمكن للكاتب، والوثيقة، والقراء أن يرشدونا إلى معنى النص الكتابي، دعونا ننقل انتباهنا إلى ترابطها.

التربط

لكي نتمكن من تفسير الكتاب المقدس بطريقة مسؤولة، من المهم جداً بالنسبة لنا أن نفهم أن هذه الإرشادات التي أشرنا إليها تدعم الواحدة منها الأخرى. فمعرفتنا بالكاتب تساعدنا على فهم الوثيقة التي كتبها، وفهم قرائه الأولين. وما نعرفه عن القراء يساعدنا على فهم نوايا الكاتب وظلال المعاني الخفية في وثيقته. وتعطينا كلمات الوثيقة وقواعد اللغة معلومات عن الكاتب والقراء. من هنا، نحتاج كمفسرين أن نكتسب ما أمكننا من إرشاد من كل هذه المصادر، فلا نتحرف قراءتنا للكتاب المقدس من خلال تشديد غير متوازن على مصدر أو اثنين فقط.

الكاتب والوثيقة والقراء هي قواعد هداية مترابطة تقودنا إلى المعنى. ونحن إن فشلنا في أخذ ترابطها بعين الاعتبار، فمن السهل أن نقع في الخطأ.

ونحن إن بالغنا في التشديد على الكاتب، نقع غالباً في مغالطة تتعلق بقصد الكاتب. والمغالطة التي تتعلق بقصد الكاتب تفرط في استنادها إلى ما نظن أننا نعرفه عن الكاتب ونواياه، وتخفف من أهمية الأمور التي نتعلمها عن الوثيقة والقراء.

وهناك طرق عدة نقع فيها في المغالطة التي تتعلق بقصد الكاتب. على سبيل المثال، يمكن أن

نفترض أمورًا لا مبرر لها حول نوايا الكاتب عن طريق التخمين حول ما فكر فيه حين كتب. كما يمكن أن نتطرق في التشديد على معلومات صحيحة حول الكاتب عن طريق الافتراض خطأ أنها وثيقة الصلة بالنص الذي نفسره.

دعنا نعطي أمثلة عن بعض المغالطات التي تتعلق بقصد الكاتب عن طريق النظر إلى يوحنا ٣: ١٦. يمكننا أن نكون متأكدين أنه عندما كتب يوحنا هذا العدد، أراد أن يلفت انتباه قرائه إلى محبة الله التي ظهرت في موت المسيح. لكن لا يمكننا أن نكون واثقين من كل التأثيرات النفسية الدقيقة التي دفعت يوحنا إلى كتابة هذه الكلمات. فالكتاب المقدس والتاريخ الموثوق به لا يعطينا ببساطة ما يكفي من المفاتيح حول أفكار يوحنا الباطنية لنستخلص هذا النوع من الاستنتاجات. وحتى إن أمكننا ذلك، فإن أفكاره الباطنية قد لا تكون وثيقة الصلة بالتحديد بمعنى يوحنا ٣: ١٦.

يُتهم أحيانًا المفسرون الذين يولون سلطان النص والقصد منه أهمية كبرى، بارتكاب مغالطة تتعلق بالقصد، أي عندما يخمنون ما يظنون أن الكاتب قصده فعلاً من خلال النص الكتابي. ذلك لا يعني، أنه لا يمكننا القول إن للكاتب القدرة على إبلاغ قرائه ما يريدون أن يفهموه، وأن يبقى ما كتبه في الواقع مفهومًا عبر الأجيال. فسواء أكنت أقوم بمراسلة زوجتي عبر البريد الإلكتروني وأنا في الجانب الآخر من العالم، أو كان أحدهم يكتب مقالة في جريدة اليوم، أو كان كاتبًا يكتب كتابًا جديدًا، فإن كل هؤلاء الكتاب يفترضون أن ثمة طريقة لإيصال رسالتهم من خلال شخصيتهم التي تظهر في كلماتهم، ومن خلال النص الذي دونوه، والذي يُبرز جزءًا من نواتهم. ويُضاف إلى ذلك طبعًا، حقيقة إيماننا بأن كاتب الكتاب المقدس النهائي ليس الكاتب البشري وحده، بل الله الذي يقف إلى جانبه. من هنا، نحن نؤمن أن الروح القدس يعين أولئك الكتاب البشريين في كتابة الكتاب المقدس منذ البداية. لكنه ينيّر أيضًا عقول القراء اليوم ليدركوا ما أراد الله أن يقوله من خلال كلمات الكاتب.

—الدكتور سايمن فايبرت

نوع ثانٍ من الأخطاء التي يمكن أن نرتكبها، هو التشديد الزائد على الوثيقة المكتوبة. وهذا النوع من الخطأ يُسمى غالبًا بالمغالطة التي تتعلق بالكتابة *جرافيك*. وكلمة "جرافيك" تأتي من اللغة اليونانية حيث تعني "كتابة".

وعلى نحو مشابه، فإن المغالطة التي تتعلق بالكتابة تفرط في تشديدها على الوثيقة نفسها، مع استبعاد نسبي لاعتبارات القرينة مثل الكاتب والقراء. وهذه مغالطة، أو خطأ، لأن الوثيقة ذاتها قد تحمل أكثر من معنى، وذلك يتوقف على من كتبها وإلى من كتبها. وقد نرتكب هذه المغالطة عن طريق ظننا بأنه يمكننا أن نصل إلى معنى مقطوع ما بمجرد تحليلنا لمفرداته، وقواعد لغته، وبنيته، دون اعتبار لمن هو الكاتب ومن هم القراء الأولون.

في مثلنا من يوحنا ٣: ١٦، فكر فيما يمكن أن يحدث إن نحن ركزنا فقط على الوثيقة وتجاهلنا يوحنا والقراء الأولين. كيف كنا سنعرف من هو ابن الله؟ في النهاية، هذا العدد لا يعرف به بوضوح. فلو لم يعرف القراء أن يوحنا كان مسيحيًا، وأنه كتب إلى قراء مسيحيين، كان من الممكن أن يفترضوا كل أنواع الافتراضات غير المسؤولة.

فعابد وثني للآلهة الكنعانية، قد يظن أن "ابن الله" هو بعل، ابن الإله الكنعاني إيل. وشخص مطلع على حقيقة أن آدم يدعى "ابن الله" في لوقا ٣: ٣٨ قد يستنتج خطأ أن آدم هو ابن الله في يوحنا ٣: ١٦، أو حتى أن آدم ويسوع هما الشخص ذاته. وقد يرتكب قراء آخرون بتعابير مثل الوحيد أو العالم، أو مفهوم الحياة الأبدية. فهناك العديد من الأخطاء التي يمكن أن نرتكبها عندما نتجاهل الكاتب والقراء.

نوع ثالث من الأخطاء التفسيرية هي عندما نغالي في التشديد على القراء. وهذا الخطأ نسميه بالمغالطة المتعلقة بالتأثير لأنها تشدد كثيرًا على كيفية تأثير النص الكتابي على القراء. وترتكب هذه المغالطة غالبًا عندما يتأمل المترجم كثيرًا بطريقة تفكير القراء الأولين ولا يعطي انتباهًا كافيًا للكاتب والوثيقة. طبعًا من المشروع أن نأخذ بعين الاعتبار تأثير النص الكتابي على القراء الأولين، بالإضافة إلى الأمور التي نتعلمها عن القراء من تاريخ موثوق به. لكن المغالطة التي تتعلق بالتأثير تذهب أبعد عن طريق التشديد الزائد على ردات فعل القراء الشخصية على النص، وتقود تقريبًا دائمًا إلى قراءات غير موضوعية للنص الكتابي لا يمكن الوثوق بها.

على سبيل المثال في يوحنا ٣: ١٦، يمكن للمغالطة التي تتعلق بالتأثير أن تذهب بعيدًا في تأملها حول ظروف القراء الأولين وتجاوبهم مع تعليم يوحنا عن الحياة الأبدية. وقد تشير إلى أنه عندما تحدث يوحنا عن الحياة، فإن ما قصده في الواقع هو النجاة الأرضية من الاضطهاد الذي كان قراءه الأولون يواجهونه وليس التجديد والبركة الروحيين اللذين نتمتع بهما للأبد. وهذا التفسير يبالغ في تشديده على تأثير المقطع على قرائه، متجاهلاً تعليم يوحنا الأوسع وتفاصيل الوثيقة ذاتها.

من الممكن أن نبالغ في تسليط الضوء على أهمية القراء الأولين الذين كُتب إليهم سفر من أسفار الوحي على هذا النحو: أولاً، بجعل الكتاب محدّداً ومفصّلاً جداً. طانين أننا نعرف عن أولئك القراء أكثر مما نعرف في الواقع. لكن الحقيقة بالنسبة لمعظم كتب العهد الجديد - وكذلك بالنسبة لكتب العهد القديم، الحقيقة هي أننا لا نعرف الكثير عن القراء الذين كُتبت إليهم هذه الكتب في الأساس، لذلك نحن حين نقدّم فرضيات حول هوية القراء نسيء التفسير على الأرجح. لأننا نقوم باختلاق قراء وهذا ليس عادلاً. إنّ الرسالة إلى العبرانيين وهي واحدة من تلك الكتب، وهو كتاب تخصّصت فيه، وقد سعى شتى أنواع الناس إلى افتراض قراء محدّدين وُجهت إليهم الرسالة إلى العبرانيين؛ وفي الواقع هم معذورون لأننا لسنا نعلم بالتحديد هوية أولئك القراء. لذا من المهم أن ندرك أنّ كتب العهد الجديد كُتبت في القرن الأول. ومن المهم أن نفهم حضارة ولغة ذلك القرن وأيضاً ألا نكون فكرة حول القراء الأولين تكون بعيدة كلّ البعد عما نعرفه عنهم. فما نعرفه عن الأناجيل على سبيل المثال، هو أنها كُتبت إلى المسيحيين لتغذية الكنيسة، لكننا لا نعرف أكثر من ذلك بكثير. ومن المهم ألا ننظّر أنّنا نعرف الكثير. لأننا لو افترضنا هكذا سنسيء تفسير الكتاب المقدس.

—الدكتور جاري كوكريل

من المؤسف، أنه من السهل ارتكاب أخطاء مثل المغالطات المتعلقة بالقصد والكتابة والتأثير - لا سيما عندما لا يكون عندنا معلومات كافية عن بعض عناصر الإرشادات. والحقيقة هي أنه لا يمكننا دائماً أن نعرف الكثير عن كاتب أو قراء النص. والكثير من الأسفار الكتابية لا تذكر كاتبها، وكثير منها لا تذكر بوضوح هوية قرائها. ونحن نفتقر أحياناً إلى معلومات حول الوثيقة ذاتها. وليس في متناولنا موارد تساعدنا على فهم كل خصائص النص، مثل المعاني المتضمنة وراء الكلمات في اللغات الأصلية للكتاب المقدس. وعندما تكون معلوماتنا محدودة، فمن الحكمة عامة أن تكون تفسيراتنا عامة. لكن مع ذلك، عندما نأخذ بعين الاعتبار الترابط في الإرشادات التي تصلنا من الكاتب، والوثيقة، والقراء بشكل صحيح، فإن كل ما نتعلمه من أي من هذه الإرشادات، يمكن أن يساعدنا على تحسين تفسيراتنا.

تناولنا في بحثنا حتى الآن اكتشاف المعنى، وثلاثة إرشادات هامة إلى المعنى. وأصبحنا مستعدين أن ننقل إلى قيمة وضع خلاصات لمعنى النصوص الكتابية.

الخلاصات

إن كنت تذهب للكنيسة لفترةٍ طويلةٍ، فعلى الأرجح أنك سمعت أكثر من واعظٍ يعظ من النص الكتابي ذاته. وغالباً ما تكونُ العظاُتُ مختلفةً جداً. ففي الواقع، من الممكن إلقاء عِظاُتٍ مختلفةً كل الاختلاف من النص ذاته، دون انتهاك معناه. كيف يمكن أن يكون هذا؟ ببساطةٍ، لا يُمكنُ لتفسيرٍ بشريٍّ للأسفار المقدسة أن يكونَ كاملاً أو شاملاً معناها. حيثُ يوجدُ دائماً المزيد كي نتعلّمه. ولهذا السبب، علينا أن نبحثُ دائماً عن طُرُقٍ جديدةٍ لتلخيص المقاطع الكتابية، لكي نتمكن من تعزيز فهمنا لما تعنيه.

إحدى الوسائل المفيدة لنكتشف معنى نص كتابي هي بوضع عدة خلاصات لمقطع معيّن. في سياق هذا الدرس، سنستخدم كلمة خلاصة لتعني:

وصف مقطع.

تأتي الخلاصة عادة من نظرة عامة محدّدة أو تشديد على مفهوم محدّد يظهر في المقطع. ولما كان لكل مقطع معنى معقد، تساعدنا الخلاصات عن طريق توضيح دراستنا، وتسمح لنا بالتركيز على جزء فقط مما يقوله المقطع.

يمكننا أن نوضح مفهوم الخلاصة عن طريق التفكير بمجموعة من الطلاب يشاهدون مسرحية معقّدة. بعد انتهاء العرض طلب من الطلاب أن يلخّصوا معنى المسرحية. لخص أحد الطلاب المسرحية بوصفه دور شخصيات المسرحية. طالب آخر، لخص الأحداث بتسلسل زمني. كذلك قام آخر بوصف كيف انتقد كاتب المسرحية القيم الحضارية المعاصرة. وأخيراً شرح طالب آخر كيف تركت طريقة تقديم المسرحية واللغة المعبرة تأثيرهما عليه شخصياً. كل هذه الإجابات هي خلاصات منطقية لمعنى العرض المسرحي. لكن ولا واحدة من هذه الخلاصات توصلت إلى معنى المسرحية الكامل. فنحن إن كنا نبحث عن معنى المسرحية الكامل، نحتاج إلى أن نشير إلى كل هذه الخلاصات وأكثر. لكن هذا هو أحد الأسباب وراء أهمية وضع خلاصات عدة - فهو يساعدنا في التركيز على النواحي الفردية للمعنى، كما يساعدنا أيضاً أن نتعلم أكثر وأكثر عن معنى المسرحية الكامل.

وهذا الأمر ينطبق تماماً على الكتاب المقدس. فقد يكون هناك العديد من الطرق الشرعية في تلخيص معنى مقطع في الكتاب المقدس، ويمكن لهذه الخلاصات أن تساعدنا لفهم بشكل أفضل نواحي من هذا المعنى. وعندما نأخذ تلك الخلاصات معاً، فإن الخلاصات الشرعية تقرّبنا أكثر وأكثر من المعنى الكامل

للمقطع.

سنتناول ثلاثة عوامل أساسية توضح لنا أهمية وضع خلاصات متعددة لمعنى النص الكتابي. أولاً، عامل تعقيدات المقطع. ثانياً، عامل فريدة المفسر. وثالثاً، عامل حاجات القراء الذين لُخص النص من أجلهم. لنبدأ بمعالجة تعقيدات المقطع.

تعقيدات المقطع

كما تعلّمنا في درس سابق، فإن تعقيدات المقاطع الكتابية تعود إلى حد بعيد إلى أن معناها الأساسي، أو الحرفي، له أوجه عدة، مثل قطعة ماس. فأوجهه تمثل أموراً مثل الوقائع التاريخية، والعقائد، والواجبات الأخلاقية، والخلص، والأمور الأخيرة. وكل نص من الكتاب المقدس له مضامين أخلاقية تتعلق بأفكارنا، وكلماتنا، وتصرفاتنا. كل نص يعلمنا شيئاً عن التاريخ والخلص، ويساعد في صياغة آملنا وتوقعاتنا من نحو المستقبل. وكل من هذه الأمور التي ينقلها المقطع يمكن أن تستخدم كأساس لخلاصة. في الواقع، بسبب تعدد أوجه معنى نص كتابي، يمكننا أن نلخصه بطرق عدة مختلفة مع الإبقاء على معناه الحرفي. تشابك النص يعني ضمناً أن خلاصتنا لن تكون أبداً شاملة، وأنه بإمكاننا دائماً أن نضع خلاصات أكثر، تكون حقيقية ومميّزة.

دعونا نستكشف هذه الفكرة عن طريق النظر إلى بعض الأماكن حيث مقطع كتابي يُلخص بالفعل مقطعاً آخر. تأمل بهذه الكلمات من المزمور ١١٠: ١:

قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ». (مزمور ١١٠: ١)

غالباً ما يستشهد العهد الجديد بالمزمور ١١٠: ١. لكن في كل مرة يركّز على ناحية مختلفة للمعنى الأساسي. ولا واحدة من الاقتباسات تتضمن كل شيء تقوله الأعداد الأخرى حول المعنى الأساسي للمزمور. على سبيل المثال، استشهد يسوع بهذا العدد في لوقا ٢٠: ٤١-٤٤ ليبين أن المسيح المنتظر هو أكثر من ابن داود.

في أعمال الرسل ٢: ٣٢-٣٦، استخدم بطرس هذا العدد ليبرهن أن يسوع كان رباً ومسيحاً انطلاقاً من أنه وريث داود الذي ارتفع إلى عرش سماوي.

كما يقرّ العهد الجديد بأن كلمات المزمور ١١٠: ١ هي كلمات قيلت لرب داود؛ لذلك تستخدم الكثير من المقاطع في العهد الجديد المزمور ١١٠ للإشارة إلى ملك المسيح على الأرض. فأفسس ١: ٢٠-٢٢، و١ كورنثوس ١٥: ٢٥، والعبرانيين ١٠: ١٣، تلخص جميعها هذه الناحية من معنى المزمور الأساسي بالإشارة إلى ملك المسيح الحالي إلى حين عودته. كما يستخدم العبرانيين ١: ١٣ هذا العدد ليبرهن أن سلطان يسوع يفوق خدمة الملائكة.

وكل من شواهد العهد الجديد هذه إلى المزمور ١١٠: ١ هي أمينة للمعنى الأصلي للمزمور. لكن كل شاهد منها هو خلاصة غير كاملة لذلك المعنى الأساسي، وله تشديد مميز. وهذا ممكن بسبب المعنى الأساسي المتعدّد الأوجه والمعقد لذلك العدد.

استخدم كتاب العهد الجديد العهد القديم بالأسلوب الذي اعتاد المفسّرون اليهود أن يلجأوا إليه حين ينقلون عن نصّ سابق. ويطلق البعض على هذا الأسلوب تسمية "التقنيّة المدراسيّة". وأحد المقاطع الشائعة المربكة، وردت في إنجيل متى؛ ولمتّى صيغة يستعملها تُسمى صيغة الإتمام - وهي العبارة "قد تم". ففي متى ٢، حيث هربت عائلة المسيح مع يسوع الطفل إلى مصر ثم رجعت إلى فلسطين، نرى متى يقتبس من هوشع فيقول: "من مصر دعوت ابني". وكثيراً ما استشهد مفسّرو الكتاب المقدس بهذا المقطع وتساءلوا، كيف يمكن لهذا الحدث أن ينطبق على ما عناه هوشع في الأصل منذ مئات السنين؟ ما نراه حين ننظر إلى الفصول الأربعة الأولى من إنجيل متى تحديداً، هو أنّ متى أراد أن يُظهر كيف أنّ يسوع يجسّد إسرائيل، فهو مثال إسرائيل، وابن الله المثالي بالطريقة ذاتها التي دعا فيها الله إسرائيل "ابني". وكما هي الحال في الخروج، هكذا في متى صعد يسوع إلى البريّة، وجرب وانتصر على التجربة واجتاز امتحان البنوة. لكن قبل ذلك في الفصل ٢، حين هرب وعائلته إلى مصر ثمّ خرج من مصر، مثلّ خروجه ذلك، خروج بني إسرائيل من مصر. فهو بخروجه من مصر يجعل من نفسه مثلاً عن شعب إسرائيل الذي خرج من مصر، وعلينا أن نفهم من ذلك أنّه يمثّل إسرائيل. وهذا المثال، هذا الرمز، يظهر جلياً حين نلقي نظرة على المقاطع الأخرى التي تصوّر المسيح في الفصول الأولى من إنجيل متى تحديداً، على أنّه ابن الله، ابن داود ومثال إسرائيل.

—الدكتور جريج بيرري

غالبًا ما يتعثر الناس حين يرون كيف استخدم كتاب العهد الجديد نصوص العهد القديم، فحن غالبًا ما نعلم أنه يجب أن نكون حريصين كل الحرص حين نستخدم هذه النصوص فنحافظ على معنى يتماشى مع السياق الذي ورد في كتابات العهد القديم. قبل كل شيء، نحن بحاجة إلى أن نفهم أن كتاب العهد الجديد استخدموا العهد القديم بثلاث طرق مختلفة: فهم اقتبسوا أحيانًا من العهد القديم مباشرة، وعندما فعلوا ذلك فسروا الاقتباس إلى حد بعيد على نحو ما كنا نحن لنفعل. وأحيانًا أخرى، استخدموا الاقتباس من العهد القديم كتلميح إلى أمرٍ ورد في العهد القديم. وهم في هذه الحال لم يفسروا ما اقتبسوه بل قاموا ببساطة بالتقاط فكرة وردت في كتابات العهد القديم. وطريقة ثالثة، استخدموا العهد القديم كإيضاح، فهم لم يعيروا الخلفية أو ما شابها أي اهتمام، لكن استخدموا الاقتباس ليوضحوا نقطة ما. ونحن إن اعتبرنا أن كل استخدام للعهد القديم في العهد الجديد أريد به أن يكون اقتباسًا تفسيريًا مباشرًا سنواجه مشكلة، لأن العديد من استخدامات العهد القديم هي تلميحات أو إيضاحات. وأظن أننا لو أدركنا هذا الأمر واستطعنا ان نميز هذه الطرق الثلاث لاستخدام العهد القديم لن نصادف مشكلة.

—الدكتور جون أوزوالت

في الواقع، الأمر ذاته ينطبق على كل مقطع في الكتاب المقدس. فكل نص يقود إلى خلاصات شرعية متعددة. والخلاصات الأعظم قيمة بالنسبة لنا، تختلف من مكان إلى مكان، ومن زمن إلى زمن، ومن شخص إلى آخر. فليست لكل خلاصات النصوص الكتابية القيمة ذاتها، أو الشرعية ذاتها. لكن هناك الكثير من الخلاصات للمعنى الأساسي لمقاطع كتابية، أمينة ومفيدة للكنيسة في كل العصور. بعد أن رأينا كيف يمكن أن تقود تعقيدات المقطع إلى خلاصات متعددة، دعونا ننقل إلى فريدة المفسر.

فريدة المفسر

دافعنا في درس سابق، عن استخدام أسلوب المحاوراة المصحوبة بسلطان لاكتشاف معنى النص الكتابي. كما أشرنا سابقًا، يقر أسلوب المحاوراة المصحوبة بسلطان بأن الحقيقة الموضوعية يمكن أن توجد في النص الكتابي طالما أن الأساليب المستخدمة تخضع للمقاييس الكتابية. وناحية ثمينة لنموذج المحاوراة

المصحوبة بسطان هو تسليطه الضوء على حقيقة أن كل المفسرين يقتربون من الأسفار المقدسة، بكل أنواع الاهتمامات والافتراضات والخلفيات والأسئلة. كل واحد منا يقرأ النص الكتابي بطريقة مختلفة، لأن الله أعطى كل واحد موهبة مختلفة عن الآخر. نحن جميعًا لدينا نقاط قوة ونقاط ضعف، ونعالج المعلومات بطرق متنوعة، استنادًا إلى معرفتنا الفريدة واختبارنا. فقد صمم الله كنيسته بحيث نستفيد جميعًا من نقاط القوى التي عند الآخر.

وخلفيات الناس ومواهبهم تقودهم إلى تلخيص المقاطع الكتابية بطرق مختلفة. على سبيل المثال، قد يلخص المؤرخ معنى التكوين ١ بطريقة مختلفة عن الفنان. فقد يصف المؤرخ الترتيب الذي اتبعه الله في خلقه للنور والظلمة، الماء واليابسة، والنبات والحيوانات. أما الفنان فقد يتحدث عن جمال وجاذبية النجوم في سماء الليل، وعن السمك والطيور عبر العالم. ونقاط القوة عند المفسرين تقود كل واحد منهم إلى استخراج نواح هامة لكن مختلفة للمعنى الأصلي للمقطع.

في الوقت عينه، يمكن لنوعي الخلاصات أعلاه أن تكون ناقصة بسبب ضعف أحد المفسرين فقد يغفل مفسر حقائق هامة بينما يشير إليها الآخر. لنفترض على سبيل المثال، أننا نريد أن نفهم طبيعة الله. واخترنا أن نبدأ بدراسة التكوين ١. ونحن إن قرأنا خلاصة المؤرخ، نجد أن الله هو مخطط منظم، لكن قد نغفل سرور الله بخليقته عندما أعلن في التكوين ١: ٣١ أن الخليفة "حسنة جدًا". لكن، إن نحن ركزنا فقط على خلاصة الفنان، يمكن أن نرى الله مبدعًا بلا شائبة، لكن نتجاهل قصده وترتيبه. ويساعدنا هذان الضعفان على أن نرى أنه لا يجوز تجاهل أي خلاصة ببساطة لأنها لا تشبه خلاصتنا. في الكثير من الحالات، يمكننا أن نتعلم الكثير عن مقطع من خلاصات الأشخاص الآخرين.

بما أنّ لكلّ مؤمن مسيحي نقاط قوة ونقاط ضعف، فمن المهمّ إذن ألاّ نتكلّ على معرفتنا وحدها خلال دراسة الكتاب، بل نستفيد من آراء الآخرين في درسه للكتاب المقدس. وبإمكاني تقديم الكثير من الأمثلة حول هذا الموضوع. فقد قمت بدراسة متعمّقة للعهد الجديد. كما درست العهد القديم ووجدت أنّ العهد الجديد يشكّل وحدة مع العهد القديم وفيه نجد إتمامًا لنبوّات العهد القديم عن المسيح وعمله في الكنيسة. لكنّي استفدت من خبرة أصدقائي الذين حصروا أفكارهم بمقاطع من العهد القديم وتمكّنت من أن أستمدّ حكمةً من إمامهم بالنص العبري وبخلفيات الشرق الأدنى القديم التاريخية والحضارية. إنّي أستعين بخبراتهم حين أكون أمام نص من العهد الجديد مقتبس من العهد القديم وأرغب في فهم الإطار الأصلي للمقطع الكتابي. كما إنّي أدرك تمامًا النقاط التي أجهلها

ليس لمجرد نقص في ثقافتني الدينية بل لكوني لم أتشكّل بعد تمامًا على صورة المسيح. فأتعلّم من حكمة أولئك الذين ساروا قبلي على خطى المسيح. هم يرون أمورًا في الكتاب المقدّس، ويرون كيف تنطبق هذه الأمور على حياتهم وحياتي بشكلٍ لست أدركه تمامًا. لذا انطلاقًا من من قلة خبرتي الروحية، فإنّي أجد الكثير من المنفعة من خبرة إخوتي وأخواتي الذين غاصوا في معرفة المسيح.

—الدكتور دنيس جونسون

لقد أراد الله أن نفهم الكتاب المقدّس ونفسره في إطار شركة المؤمنين بعضهم مع بعض. ومن بين التوجيهات التي تتكرّر نحو خمس وستين مرّة في العهد الجديد، نجدها في عبارة بسيطة: "بعضكم بعضًا" - شجّعوا بعضكم بعضًا، ابنوا بعضكم بعضًا، أرشدوا بعضكم بعضًا، ما إلى هنالك. في أفسس ٣: ١٨ يقول الرسول بولس إنّه فقط حين نكون في شركة مع سائر المؤمنين نستطيع حقًا أن ندرك بالكامل مع جميع القديسين ما هو عرض وطول وعمق وعلو محبة المسيح. إذاً لا نستطيع إدراك تلك المحبة بمفردنا، بل في إطار الشركة مع مؤمنين آخرين. لقد اختبرت ذلك بنفسني حيث درست الكتاب المقدس ضمن مجموعة أشخاص، وكان ممتعًا الاستماع إلى وجهات النظر المختلفة، والاستفادة أحدنا من الآخر.

—الدكتور فليب بايز

بعد أن نظرنا إلى الطرق التي من خلالها تعقيدات المقطع وفرادة المفسّر تجعل من تعدّد الخلاصات ممكنًا، دعونا نتناول حاجات القراء.

حاجات القراء

عندما نلخص المعنى الأساسي لنص كتابي، نحن نفعل ذلك بطرق تستيق حاجات القراء المختلفين. ونحن نلخص أحيانًا مقطعًا لنعظ عظة للبالغين. وأحيانًا نعدّ درس كتاب للأطفال. أحيانًا نقرأ الكتاب المقدس لأننا نتصارع مع مشكلة حياتية كبيرة، أو فقط من أجل نمونا الروحي. ويكون عادة لقراء مختلفين حاجات مختلفة. وهذا يعني أنه لكي نطبّق الكتاب المقدس بطرق مسؤولة ومناسبة، يجب أن نجد خلاصات تكون مساعدة لقراءنا المحدّدين. كمثال على ذلك، أنظر إلى كلمات يسوع في يوحنا ١٦: ٣٣:

قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِي سَلَامٍ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ
عَلَّبْتُ الْعَالَمَ (يوحنا ١٦ : ٣٣).

هناك طرق عدة صحيحة لتلخيص هذا العدد. يمكننا أن نصيغ خلاصة تركز على السلام، أو على كون يسوع قد أعلن لنا الحق. لكن لنفترض أننا نحتاج إلى أن نلخصه لقارئ يتصارع مع الألم. أولاً، نحتاج إلى أن ننظر إلى السبب وراء الألم. بعض المسيحيين يتألمون لأنهم يعانون الاضطهاد من سلطات سياسية غير مؤمنة. آخرون يتألمون بسبب الفقر أو الكوارث الطبيعية. آخرون يتألمون نتيجة لسلوك غير حكيم أو حتى شرير. وهناك أسباب أخرى للألم. وبسبب هذه الفروق الكبيرة في اختباراتنا، لا يمكن لخلاصة واحدة أن تطبق تعاليم يوحنا ١٦ : ٣٣ بشكل مسؤول على كل هؤلاء القراء. على سبيل المثال، تلخيص المقطع لقارئ يعاني من الاضطهاد قد يشبه ما يلي: تشجع لأن يسوع سيضع حدًا في النهاية لاضطهادك ويؤسس عالمًا لن تضطهد فيه من جديد. أما لأولئك الذين يتألمون بسبب الفقر أو بسبب كارثة طبيعية، قد تكون الخلاصة أمرًا مشابهًا: لقد سمح يسوع بألمك لفترة، لكنه سيباركك لاحقًا بطرق تُعوض عليك الخسائر التي اخترتها. بصورة عامة، يمكن أن نتشجع نحن جميعًا من خلال حقيقة أن يسوع غلب العالم، وأن نأمل بإيجاد السلام في وسط الآمناء. لكن إذ نتألم جميعًا من مشاكل مختلفة، يجب أن نكيّف التعليم المتشابه في هذا المقطع بطرق متنوعة لنتمكن من أن نخدم حاجات القراء المختلفين. وهناك فروق حضارية يجب أن نأخذها بعين الاعتبار أيضًا. كل حضارة لها تاريخ مختلف، بنية اجتماعية مختلفة، آراء دينية متنافسة مختلفة، ونقاط قوة ونقاط ضعف مختلفة. ولكي نطبق الكتاب المقدس بأفضل الطرق، نحتاج إلى أن نجد خلاصات للنصوص الكتابية تخدم حاجات أشخاص محددين في ظروفهم الخاصة.

أحد امتيازات الخدمة الرعوية هو تعليم الكتاب المقدس وإعلان البشارة إلى شريحة واسعة ومتنوعة من الحاضرين - سواء أكان الحاضرون أشخاصًا على قدر كبير من التحصيل العلمي، أو أميين. سواء أكانوا أحداثًا أو مسنين، أو مهما كانت مهنتهم. إلا أن مهمتهم هذه ليست بالسهلة لأنها تتطلب من الراعي أن يدرك حقًا طبيعة الحضور الذي يقدم إليه كلمة الله. وهناك أمران وجدت أن لهما منفعة كبيرة في هذا المجال: أولاً، أن أسأل

الجماعة المصلية في كنيسة، "هل كان ذلك واضحاً؟ هل فهتم ما تكلمت عنه؟ أخبروني. ماذا تعلمتم من عظاتي الأخيرة؟" وألاً أسترسل في الكلام طوال الوقت بل أن أصغي إلى تجاوب الجماعة مع كلمة الله. والأمر الآخر الذي وجدته نافعا، هو تعليم الإنجيل للصغار بشكلٍ منتظم. مرّات عديدة كنت أقوم بتعليم الصغار العظة ذاتها التي أكون قد علّمتها للبالغين لكن بأسلوبٍ مبسّط، علينا دائماً أن نعتد أسلوباً بسيطاً وواضحاً حين نقوم بنقل رسالة بأهميّة رسالة الإنجيل.

—الدكتور فيليب راكين

من المهم أن نجعل رسالتنا متناسب مع قدرة الحضور على استيعابها. وإحدى الطرق لجعل ذلك ممكناً هي فهم تصنيف الناس إلى فئتين: جماعة الدماغ الأيمن الذين يميلون إلى فهم الأشياء بطريقة حسية من خلال القصص والأدلة والأمثلة. وجماعة الدماغ الأيسر نالذين يعالجون الأمور بطريقة تحليلية بحتة. أنا أميل إلى أن أكون وسطياً بين الاثنين والأمر يعتمد على حضارة الذين تتوجه إليهم. فثمة مناطق من العالم يكون الدماغ الأيمن هو المسيطر لدى شعوبها وأخرى تعتمد بشكلٍ كبير على الدماغ الأيسر. واللافت في زمن يسوع، سعيه إلى ربط الحقائق الكتابية بأمر من حياتنا اليومية: أنظروا إلى طيور السماء؛ السامري النازل من أورشليم إلى أريحا. وكان يعتمد هذا الأسلوب مرّات عديدة. وكانت أقواله تتماشى مع شريحة متنوعة من السامعين سواء أكان السامع يميني الدماغ أو يساريه.

—الدكتور مات فريدمان

عندما نفّس الكتاب المقدس، يجب ان نبقي دائماً في ذهننا كلا المعنى الأساسي للمقطع وحاجات القراء المعاصرين. من عدة نواحٍ، فحص النص الكتابي يقوم بكامله على سد الفجوات بين المعنى الأصلي والقراء المعاصرين، لكي نتمكن جميعاً من الاستفادة من القيمة الكاملة للنصوص الكتابية. ولا واحد منا يمكنه أن يفعل ذلك بصورة كاملة. لكن يمكننا أن نثق بأن الروح القدس يقودنا إلى خُلاصات كتابية تخدم كنيسة بطرق ثمينة.

الخاتمة

رَكَّزنا في هذا الدرس حول اكتشاف المعنى على فكرتين أساسيتين: الإرشادات الهامة إلى المعنى التي نجدها عند الكاتب، وفي الوثيقة وقراء النص الكتابي. وكذلك ركَّزنا على الخلاصات المتعددة التي يمكن أن نستنتجها من النص الكتابي.

يجب أن نُقرَّ جميعاً أن الكتاب المقدس صعبُ الفهم أحياناً. لكن الخبر السار هو أن الله قد أعطانا طرقاً متنوعة لنكتشف المعنى الأصلي لكلمته. فقد أعطانا الأسفار الكتابية نفسها، وتشمل هذه الأسفار القرينة اللغوية والأدبية التي نحتاج إليها. كما أنه قدَّم لنا طرقاً لجمع المعلومات حول الكتاب والقراء الأصليين للكتاب المقدس. بالإضافة إلى ذلك، فالمعنى الأصلي لكل جزء من الكتاب المقدس، غني لدرجة أنه يمكننا اكتساب مفاهيم جديدة حوله، في كل يوم من أيام حياتنا. وإذا أخذنا هذه الأمور في الاعتبار، بينما ندرس الكتاب المقدس، سنتمكّن من اكتشاف المزيد حول المعنى الأصلي للنص الكتابي.